النص الأدبي مقاربة بينتخصصية
القراءة المنهجية والأدبية نموذجا

أخ العرب عبد الرحيم

مقدمة

يعد الأدب فرصة ملائمة للمقاربات المختلفة التي تتوخى تطوير الكفايات بمنأى عن الكفاية اللسانية. فهو يطلق العنان لردود الفعل حول الأسئلة الكبرى للوجود، بطريقة مستثرة وممتعة ، والنصوص الأدبية هي وسائل ديداكتيكية خاصة تتجمع فيها الأهداف الثقافية والمنهجية واللسانية. ولقد أضحى الأدب حاليا حقلا بينتخصصاتيا بامتياز- رغم الانطباع الذي قد يظهر أنها غير عملية بالنسبة للأدب، فالأكيد والذي لا نزاع فيه هو القيمة الطاقية التي يمنحها للأدب- وخاصة ما يتعلق بمسألة اختيار النص، والوثيقة التي نستثمرها، والمنهجية التي نتبعها. وتكمن أصالة المقاربة البينتخصصاتية في تطوير المعرفة السوسيو- ثقافية ، والكفاية البراغماتية. وقبل مناقشة موضوع البينتخصصاتية والبيداغوجيا وحوار المناهج والنص الأدبي، وجب تمحيص الجهاز المفاهيمي لمقاربتنا.

> النصوص الأدبية هي وسائل ديداكتيكية خاصة تتجمع فيها الأهداف الثقافية والمنهجية واللسانية. ولقد أضحى الأدب حاليا حقلا بينتخصصاتيا بامتياز

الجهاز المفاهيمي :

مفهوم المقاربة البينتخصصاتية:

إن المقاربة البينتخصصاتية حوار وتبادل للمعارف والتحليلات والمناهج بين تخصصين أوأكثر.[1] وهو ليس

رؤية تجزيئية، بقدر ماهو إغناء للرؤية انطلاقا من تخصصات ومناهج ومعارف مختلفة بغية تحقيق مقاربة إدماجية ونسقية للمشاكل أو(الوضعيات- المشاكل).[2]

فكل تخصص يقوم بمجهود خارج مجال تخصصه، ويغامر في مجال لايعنيه بالدرجة الأولى، من أجل التشجيع على ولادة نوع جديد من المتخصصين في اللاتخصص.[3]

لقد أصبحت المقاربة البينتخصصاتية تعني من ألان فصاعدا» إدراك الأشياء أنساقا وأنظمة»؛[4] لأنه فعل يمكن أن يفهم من أوجه مختلفة- حسب المجالات المؤسساتية أو المهنية التي يمكن أن يتدخل فيهاك(المعرفة، البحث، التربية، النظرية) -ومسار تتطور فيه القدرة على التحليل والتركيب، انطلاقا من وجهات نظر تخصصات متعددة،هدفه معالجة مشكلة داخل مجموع هذه الوجهات، ويحاول تلخيص وإعادة ربط المعرفة التخصصية، ووضعها في إطار نسقي موسع.

ب - قراباته السرية:

تتموقع المقاربة البينتخصصاتية بجوار مجموعة من المصطلحات تربطها علاقات وقرا بات سرية مثل: التعدد- التخصصاتي، وعبر- التخصصاتي، والمنهج التكاملي.. فماهي طبيعة هذه القرابة؟

+ التعدد- التخصصاتي pluridisciplinarité: هو دراسة موضوع مشترك من قبل مجموعة من الباحثين، أوالمدرسين في تخصصات مختلفة، لا يستطيع أي منهم بمفرده أن يرصد كل مظاهره، والغاية هي إخراج معرفة أغنى بالموضوع؛ مع احتفاظ كل واحد منهم بخصوصية مفاهيمه ومناهجه؛ إنها مقاربة موازية لهدف مشترك، من خلال رؤى مختصة،حيث يخلصون في الأخير لتقريب بسيط، لمعطيات مستخلصة من كل تخصص.[5]

إنه دراسة مجموعة من المواد دون الحديث عن العلاقات بين التخصصات (مثلا تدريس الرياضيات، تدريس الفرنسية..)؛ وأينما وجدت المقاربة التعددية- التخصصاتية ، وجدت المقاربة البينتخصصاتية، فكلاهما نشأ حوالي أواسط القرن العشرين، كرد فعل على الإغراق في التخصص، وكتعبير عن الحاجة العملية والماسة إلى روابط بين المناهج والفروع المعرفية المختلفة.[6]

+ العبر- تخصصاتي la transdisciplinarité:

ولد هذا المصطلح عام 1970م، عندما وقف (بياجيه) وقال بمناسبة مؤتمر حول (البينتخصصاتية):» عند شوط العلاقات البينتخصصاتية، نأمل أن يليه شوط أعلى سيكون هو(عبر- تخصصاتية)، الذي لا يكتفي ببلوغ تفاعلات أومبادلات بين الأبحاث الاختصاصية، إنما يضع صلات داخل منظومة كلية لا حدود مستقرة فيها بين التخصصات والمناهج، من أجل رؤية جديدة للإنسان والكون»[7].

إنها عبور بين العلوم المتنوعة، دون

الاهتمام بالحدود الفاصلة بينها، متجاوزا الحدود الدقيقة والثابتة لكل تخصص مع تخصص آخر؛ مثلا : يمكن معالجة مفهوم النسق أو الجسد، داخل تخصص الفيزياء، والبيولوجيا، والاقتصاد، وعلم الاجتماع، والأدب، الانثروبولوجيا...

جل هذه المقاربات ولدت لحظة تأليفها بين التخصصات، نسب ودرجات متفاوتة في الاندماج فيما بينها، وتتمثل فيما يلي:

درجة التطبيقdapplication: نقل مناهج الفيزياء النووية إلى الطب قاد إلى علاجات للسرطان.

- درجة ابستيمولوجيةepistémologique: نقل مناهج المنطق الصوري إلى ميدان الحقوق أنتج تحليلات مهمة في ابيستيمولوجيا القانون.

- درجة توليد تخصصات جديدة engendrement de novelles disciplines:نقل مناهج الرياضيات إلى ميدان الفيزياء الرياضية،أو نقل مناهج فيزياء الجزئيات إلى الفيزياء الفلكية، والذي ولد (الكوسمولوجيا)؛

وهذه الدرجة الثالثة- في نظر بسراب نيكولسكو- ستولد إنفجارا تخصصاتيا[8]؛ لكن(إدغار موران) يرى أن مهمة الجامعة، هي مهمة الجامعة للاختصاصات، أي حماية الثقافة وصيانة مستقبلها الشمولي[9]؛ والبينتخصصاتية وسيلة لتحقيق ذلك، ما دامت تقوم بنقل المناهج من تخصص إلى آخر، لغايات بحثية محددة، وهذا ما أدى إلى ولادة تخصصات(فروع علمية جديدة تتناول ميادين بحثيةتقع على التخوم بين الفروع العلمية).[10]

+ المنهج التكاملي : هو نظام يؤكد على دراسة المواد، دراسة متصلة ببعضها البعض،لإبراز علاقات ، واستغلالها لزيادة الوضوح والفهم، وهو يعد خطوة وسطى بين انفصال هذه المواد وإدماجها إدماجا تاما؛ بغية إظهار وحدة التفكير، وتجنب التمييز والفصل غير المنطقي بين مجالات العلوما لمختلفة.+[11] مميزاته:

الفرد يحتاج لتجاوز مشاكله إلى ألوان معرفية مختلفة.

-الفرد يدرك الكل قبل الأجزاء،والعموم قبل الخصوص(نظرية الجشتالت،في علم النفس التربوي).

- الاقتصاد في الجهد والمال.

- منهج ينمي قدرة المدرس المهنية والعلمية.

- منهج يجعل الفرد يواكب تطورات الحياة.+ أنواعه:

التكامل الأفقي: تركيز الاهتمام بموضوعاتذات عناصر مشتركة بين مجالات متصلة، كأن نربط بين ما يدرس في الرياضيات، وبين ما يدرس في العلوم والاجتماعيات والتربية الفنية، والرياضية، وغيرها من فروع المعرفة المختلفة، بالإضافة إلى نقل المبادئ التي يتعلمها المتعلم، إلى

أي فرع من فروع المعرفة، أو أي مشكلة تعترضه.

التكامل الرأسي: أو ما يسميه البعض البناء الحلزوني أو اللولبي(spiral) للمنهج، وهو ببساطة التوجه نحو نسقية علمية في التخصصات، واتخاذ مفهوم محوري، والارتقاء به عمقا واتساعا، وتداخلا في فروع العلم الأخرى، وفي الحياة كلما ارتقى الطالب من صف إلى صف أعلى.[12] ويمكن القول إن المنهج التكاملي هو محاولة للجمع بين البينتخصصاتية والعبر- تخصصاتية رغم وجود اختلاف على مستوى البحث،وطريقة الانفتاح على المصادر العلمية و المعرفية المختلفة. ولقد لقي هذا المنهج رفضا من قبل مجموعة من الباحثين المغاربة أمثال الدكتور(رشيد بنحدو)وحجته أنه " لايمكن المواءمة والمطابقة بين مناهج وتصورات متباينة في مقاربتها للنص الواحد، لأن النتيجة ستكون هي التمحل والتعسف والإسقاط والتلفيق".[13]ج- مفهوم النص الأدبي :

لقد عوض (رولان بارط) مصطلح (العمل الأدبي) بمقولة(النص)باعتباره إنتاجا متقاطعا يخترق عملا أو عدة أعمال أدبية، ويقاوم الحدود بلعبة الخفاء والتجلي فهو" ليس مجموعة من الإشارات المغلقة المحملة بمعنى يجب العثور عليه، ولكنه حجم من الآثار، التي لا تكف عن الانتقال"[14]؛ وهذا يتوافق مع ما صرح به اللغوي(يمسليف): " إن من أهم خصائص تحديد النص (الاكتمال):فأبعاد العلامة لا تمثل منظورا مناسبا لتحديدها،بحيث نجد أن كلمة واحدة (نار)، يمكن أن تكون علامة، مقابل عمل روائي ضخم مثلا، فكل منهما يمكن اعتباره نصا، وذلك بفضل اكتماله واستقلاله، بغض النظر عن أبعاد مضمونه أو طوله"[15].

ومن هنا نستشفأن النص يمكن أن يكون جملة أو أقل(التنبيهات،عناوين الصور،الأمثال، تركيب النداء، والإعلانات..)، والحد الفاصل بين (النص) و(اللانص) هو تنظيمه الفريد وتماسكه اللغوي الخاص، و"يمكن اعتبار الكتابة الفنية تنظيما آخر مقابل الإنتاج اللغوي".

إذن النص هو ملفوظ وتلفظ وتلقي(مع كل تلق يصبح النص جديدا)، ويعتبر مفهوم (الإنتاجية النصية) ل(جوليا كريستيفا) ترسيخالخاصية(قابلية النص للعطاء المتجدد، ولتجاوز واحديةالدلالةmonosémie إلى تعدديتها[16].(polysémie أما النص الأدبي، فيعد نموذجا استيطيقيا، وشاهدا على العصر والمجتمع، و شكلا من أشكال التواصل، ومادة حاملة للمعرفة، وللمعطيات الإنسانية (التاريخ، الثقافة، التخييل...)؛ وتعبيراune expression،ليس هدفه تبليغ معلومة فقط، بل يمكن أن يكون محور سلسلة وأنشطة بيداغوجية، ومنطلقاune démarche pédagogiqueلتحقيق حاجات المتعلمين.

2 - البينتخصصاتية والبيداغوجيا:

أ - البينتخصصاتية والتربية:

يتجلى الاتجاه البينتخصصاتي كمنهج تعليمي شموليholistique،حيث يقدم وضعية مشكلة للمتعلم، الذي سيدمج فيها مجموعة من التخصصات، وهذا سيولد لنا مفكرين متضلعين بمفهومه الواسع.

فعندما نتجول في ربوع البيداغوجيا والديداكتيك، نصادف استعمالات مثل: (البينتخصصاتيةالبيداغوجية) (Best1982 Cros1986.1987،Dhainaut1979.1986، (في حين فصلها(lenoir 1993) عن عبارة البينتخصصاتيةالمدرسية،باعتبارهاتحيينا لها في السياقالمدرسي، ووسيلة للتبسيط والتسهيل والتسريعلوثيرة الفعل التربوي على المستوى التطبيقي، أي على مستوى تصاميم المنهاج والبرامج الديداكتيكيةles plans curriculaire et didactique.

إنها عملية تقريب بين التخصصات، مع التبئير حول موضوع وطيمة ووضعية مشتركة[17]؛ ووسيلة لمواجهة الفشل المدرسي، ونقص التحفيز، انطلاقا من الإبداعية وروح المبادرة، والتشارك، والتعاون بين المتعلمين، داخل مشروع مشترك؛ وأيضا انطلاقا من تنظيم التعلمات فوق حقول تخصصاتية مفصولة بحواجزcloisonnés، ووفق ترسيمة schéma يستدعيها المدرسون لبناء جسور مشاريع بينتخصصاتية محفزة للمتعلمين وللمدرسين أنفسهم.

ب - خصوصية البينتخصصاتية المدرسية:

تتكون البينتخصصاتية المدرسية من بينتخصصاتية منهاجية[18] curriculaire:وهو متوالية تحليل نسقيsystimatique، وبرامج عمل،تقوم على ربط عناصر متداخلة ومتقاربة ومتكاملة بين مختلف المواد المدرسية التي تشكل خطا تعليميامفروضا.

وفعل تبادل بين التخصصات، رغم تغير(النتائج، وأهداف الدراسة، والمفاهيم، والمصطلحات، والمنطلقات التعليمية، والملكات، والتقنيات....)يسعى إلى تكوين فواعل اجتماعية acteurs sociaux، تلجأ إلى المعارف من وجهة نظر تربوية،لأن المواد المدرسية هي إطار جمعي لمواد بنائية، يتوخى المدرس إدماج التلميذ في مسارها التربوي.

وعندما تركز البينتخصصاتيةالمدرسية حول الموضوعobjet ’l، تسمى البينتخصصاتية المنهاجيةcurriculaire، وعندما تهتم بعلاقة الموضوع بالمدرس(اختيار النماذج الديداكتيكية)، تسمى البينتخصصاتية الديداكتيكية، وإذا اهتمت بالقسم ومسار تعلم المتعلمين، وتحيين البينتخصصاتية الديداكتيكية، تسمى البينتخصصاتية البيداغوجية[19].

وصفوة القول إذا كانت البينتخصصاتية المدرسية هي تنظيم لأنشطة بيداغوجية، بواسطة ضم وإدماج مواد مختلفة، ومطلوبة لدراسة طيمة، أو تحقيق مشروع، فإن مفهوم (الإدماج) هنا يحيل

على:الأبعاد التفاعليةالتي تربط الذوات المتعلِّمة بالمواضيع المتعَلَّمة(أي مسار إنتاج التعلمات)، وتهتم بالمدرس كوسيط لهذه العلاقة(ذات- موضوع)؛ولن يكون البحث في أحضان لبينتخصصاتية ممكنا، إلا في كنف إشكالية مشتركة commune، وفي اختلاط مجموعة من التخصصات حول موضوع واحد ولأجله.

فما هي أبجدية التخطيط لتعليم بينتخصصاتي؟

ينبني التعليم البينتخصصاتي على ثلاثة مبادئ:

المبدأ الأول:إدماج مجموعة من الحقول التخصصاتية، عبر اختيار طيمة مستنفرةmobilisateur تستدعي مجموعة من التخصصات لمعالجتها وحلها، وإثارة اهتمام وفضول المتعلمين للإنخراط في العمل المطلوب؛ وأيضاتقديم وضعية- مشكلة، واقعية وخفيةinédite، ومنفتحة على حقول مختلفة، وتؤدي إلى معرفة إدماجية بصفة عامة، وإلى تطوير القدرة التحليلية والتركيبية؛ وكذلك صياغة أهداف ادماجية، لان المدرس البينتخصصاتي يتغيا بناء معرفة إدماجية، وإبراز الكفايات المهنية المعقدة.

المبدأ الثاني:المساعدة والتعاون بين تمثلات الحقول التخصصاتية، وهو مبدأ يهتم بالمتعلم والأستاذ، ويشجع العمل الجماعي، يقوم هذا المبدأ على تجريب العمل في المجموعة:أي تقديم العمل بطريقة بيداغوجية ثنائية أو جماعية، وبناء حوارية بين التخصصات، تسمح بتحقيق تمفصلات des articulation بين هذه التخصصات؛ مثلا:

- الحديث عن الكفايات المستهدفة.
- تهيئ جماعي للوضعيات التقويمية.
- الحديث الجماعي حول طريقة التقويم(امتحان شفوي ، كتابي).
- تحديد جماعي للمعايير التقويمية ونظام التنقيط.
- تقويم جماعي لأعمال المتعلمين.

وأيضا يعتمد هذا المبدأ على الفهم الجماعيApprendre ensemble،الذي ينبني على العمل التفاعلي وعلى التعلم بالمشاكل، وكذلك وضع كل معلوماتهم التخصصاتية في خدمة المشروع؛ وهذا يستوجب جمع ساعات التعلم بطريقة مرنة، أو جمع المدرسين البينتخصصاتيين في مجموعات، أو وحدات modules، وإيجاد صالة مهيأة للأنشطة وللاشتغال الجماعي.

المبدأ الثالث: إعداد وتحضير تركيب لالتقاء التخصصات.

إن كل تخطيط لتعليم بينتخصصاتي يستوجب نقل هذه المبادئ الثلاثة لمجال التعليم، واقتراح وضعية تعليمية تسمح باستنفار واستدعاء مجموعة من التخصصات، وتجريب التعاون، والتدريب على التركيب.

ج- البينتخصصاتية إغناء للمعارف وللمناهج المدرسية:

تساهم البينتخصصاتية في تحفيز المتعلمين، وتطوير روح المبادرة والاستقلال، وهما ركيزتان أساسيتان لتهيئ المتعلم لتشكيل حياته المستقبلية، وتوظيف التخصصات التي هي في الأصل مجموعة من المهارات التي يتحتم عليه تعلمها والإلمام بها؛ وتتوخى البيداغوجيا البينتخصصاتية تحقيق التعلم بلذة، وبآفاق معرفية واعدة، وبرؤية مختلفة لتطبيقات المكونين التعليمية- لأن المكونين سيضطرون لتطوير كفاياتهم السلوكية النفسية والشخصية، وللتحكم في المعلومات والمعارف(savoirs)، وأجرأة المهارات(savoirs- faire).

2 -حوار المناهج والنص الأدبي:

يصرح بيناموBenamou:» إن هدف البيداغوجيا هي جعل التلميذ يستدل بنفسه على النص قبل الحديث عنه..إنها بيداغوجيا الاكتشاف والصدمة والمفاجأة «[20].

فعندما نوجه دراسة النص الأدبي نحو المقاربة البينتخصصاتية(أي اتصاله بمحتوى مواد أخرى)، فإننا ننمي روح النقد، ونشجع لذة البحث والتقصي والإبداع لدى المتعلم، وفي نفس المنحى نلزم المدرس بتمرير حب الأدب للمتعلمين- نظرا لدوره كمسير وموجه- ونقل المعارف بشكل يجد المتعلمون فيها معنى لتعلمهم.

وتعتبر القراءة المنهجية والقراءة الأدبية محاولتين جادتين لصياغة البينتخصصاتية المدرسية والبيداغوجية.

أ - القراءة المنهجية :

قدم هذا المصطلح فريق عمل بتنسيق من (ميشال ديكوت)Descotes، من خلال مؤلفه(القراءة المنهجية، من بناء المعنى إلى القراءة المنهجية)، يقترح قراءة أو محاور قراءات يسمح باكتشاف متعة الأدب، وتسمح بتدريب المتعلمين على مناهج قرائية قابلة للتطبيق على أشياء مقروءة متنوعة سواء أدبية أم غير أدبية.

إنها ممارسة مدرسية وجامعية جاءت بديلا لتفسير النص وشرحه، تتولى إعطاء أدوات تحليلية لنص قصير خلال حصة دراسية محددة؛لان شرح النصوص يمثل الدرجة الصفر من الهيرمينوطيقا الأدبية، أما القراءة المنهجية فهي لا تسعى إلى بناء تأويل للنص، بقدر ما تسعى إلى بلورة جهاز مفاهيمي ييسر خطة المتعلمين التأويلية، دون أن يحل محلها.

يتكون الإطار المرجعي للقراءة المنهجية من مجموعة من التخصصات التي تتمركز حول النص كوضعية- مشكلة، أهمها:

-السيكولسانيات والسيميوطيقا: القراءة نشاط يسعى لبناء معنى للنص عبر تشغيل عمليات الاستباق الذهنية، وإصدار الفرضيات، والتقاط المؤشرات،وعقد العلاقات بينها بغية فحص الفرضيات .

-السيكولوجيا المعرفية وخاصة السيكولوجيا البنائية(لدى بياجيه) التي تهتم بمفهوم النشاط، والتعلم بواسطة المعرفة والتجربة.

- علم النفس التربوي وخاصة نظرية الخطاطة ل(فريديريك بارليت Barlett1932) : أي ان القارئ ينتقي المعلومات المناسبة من خزان الذاكرة، وملاءمتها مع المقتضيات الداخلية والخارجية للنص؛ فالمعرفة القبلية أوالخلفيةback knowledge،والمقصود بها المعرفة الجاهزة في الذاكرة، هي بنيات منظمة تقود إلى توقعات، تبنى عليها عمليات التأويل للخطاب والوقائع.

+ خصائصها:

تقر القراءة المنهجية بالوحدة المركبة والعميقة للنص، وترفض الإطناب، وتقبل المعنى تفاعلا حاصلا بين متلق مزود بكفايات(موسوعية، لغوية، منطقية، تداولية) ومادة دالة.

تتميز بالطابع الشمولي والتدرجي، والانفتاح على مختلف الحساسيات النقدية، اعتمدتها الجهات الرسمية بالمغرب، منذ 1993، ثم المنهاج المعدل لسنة2007، حتى ألان ؛ لكن النتائج المحصل عليها سواء على مستوى مقاربة الدرس القرائي أم درس المؤلفات، لم تكن مرضية؛ لأنها ضلت حبيسة تركيب لأدوات تحليلية ومنهجية من مشارب نقدية مختلفة، وتفتقر إلى المنهج الموحد والمنظم، لعملياته التحليلية والإجرائية.

ب - القراءة الأدبية :

ظهر مفهوم القراءة الأدبية رسميا سنة 1984، بمؤتمر في Reimsعندما التقى (ميشال بيكار) بمجموعة من الديداكتيكيين والجامعيين، أمثال(فانسان جوف) الذي أعلن عن مجلة بعنوان(القراءة الأدبية): تهتم بنظريات القراءة لسنوات السبعينيات، والأبحاث الديداكتيكية الخاصة بتعلم القراءة، وتجديد طرق القراءة المدرسيةscolaire.

إن القراءة الأدبية ليست قراءة للأدب بمختلف أشكاله المدرسية(شرح النص، القراءة المنهجية، القراءة التحليلية)، بل مفهوما ينبني على نشاط القارئ، لأن العمل الأدبي دائما يتحقق ويكتمل بفضل استثمار قرائه؛ وهذا النشاط يقود إلى إعادة صياغة العمل المقروء، وتأسيس ما يسميه (بيير بيارBayard): النص الفردي للقارئ. لقد فتحت القراءة الأدبية المجال لمساءلة فعل القراءة(مدرسيا طبعا)، وغيرت مفهومنا للتعليم، الذي أضحى بفضل ثلة من المفكرين والمبدعين والمنظرين والديداكتيكيين ،حوارا مفتوحا بين التخصصات والمناهج داخل ورشة الأدب ، لايركز فقط على النص، بل على علاقة النص- القارئlecteur -texte، ومساراته التأويلية.

ويمكن التمييز بين ثلاث مراحل مؤسسة لعلاقة الأدب بالتخصصات المختلفة، وللحوار البينتخصصاتي للمناهج الأدبية:ما قبل اللسانيات،اللسانيات، ما بعد اللسانيات.

+ ماقبل اللسانيات:

تميزت هذه المرحلة(خاصة النصف الأول من القرن20) بتأثرالأدب بالعلوم الطبيعية التجريبية، من خلال مفاهيم(التعريف، الانتخاب، الظروف، العوامل، التأثير البيئي، التجربة...).

حيث كانت القراءة الأدبية تعالج النص الأدبي صورة عاكسة لإنتاج الفرد(السيرة والنفسية)، وإنتاجا متأثرا بالعوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية؛ وأصبح الفن يخضع للذوق بدل العقل.

وفي الخمسينيات من القرن 20، تأثرالأدب بالانثروبولوجيا، وخاصة بنيوية (ليفي ستراوس)، وأصبحت المقاربة الأدبية تقوم على « وجود أبنية عقلية لا شعورية عامة تشترك فيها كل الثقافات الإنسانية، رغم الاختلاف والتباين الظاهر، واللغة هي الوسيلة الوحيدة للكشف عن هذه الأبنية اللا شعورية».[21]

+ اللسانيات :

كانت اللسانيات فاتحة خير على الأدب ومناهجه، فلما اعتمد(سوسير) على فرضياته الثنائية: (اللسان/الكلام- السانكرونية/ الدياكرونية- الدال/ المدلول)، تغير مفهوم اللغة كنظام من الإشارات التي تعبر عن أفكار، إلى وسيلة للتعبير عن الأشياء.[22]

بعد ذلك اهتم تلامذة وأتباع (سوسير)ب(الكلام)، وأضحت الثنائية عند يمسلف(الجهاز- النص) وعند تشومسكي(القدرة- الانجاز) وعند ياكبسون(السنن- الرسالة)، وعندغيوم.ف(اللسان- الخطاب)، وعند رولان بارط(اللسان- الأسلوب)؛ وأيضا تطلعت القراءة الشكلانية إلى تطوير مقاربة حوارية بين اللسانيات والشعرية، معتبرة القراءة الأدبية «حصيلة تفاعل البنى الحكائية والأسلوبية والإيقاعية للنص».[23]

ومن اللازم هنا الإشارة إلى ما تسميه(جوليا كريستيفا)ب السيميائية التحليليةsémanalyse، وهي مقاربة نصية استفادت من(اللسانيات والشكلانية الروسية، والوجودية، ومن نظريات كانط، وهيجل،وماركس،وخاصة عملية الخفاء والتجلي وعلاقتهما بقوانين الوجود والعدم)، واشتغلت على النص من خلال «البحث عن ماهيته دون التخلي عن حضوره المادي المحسوس»[24].

أما القراءة الأسلوبية فانطلقت مع(شارل بالي) تلميذ(سوسير)، وكانت تحتل موقع(بين-بين) بين الأدب واللسانيات، وعوضت النقد البلاغي بعد انحلاله Enffondrement.[25] وهي تزاوج بين المقاربة النفسية(ظروف النفسية للإرسال والتلقي ،وتتبع الشحنات الوجدانية والعاطفية في الكلام)، وبين المقاربة اللسانية البحثة التي تدرس (الجانب اللغوي التعبيري)؛ وحولت اهتمامها للخطاب (النص= خطاب(خاص)+نظام(عام))[26]، ولم يعد

التفضيل قائما بين الشكل والمعنى، بل «أصبح المعنى شكلا»[27].

ولن أزيغ عن سمت الحقيقة إذا قلت إن حوار النص السردي مع اللسانيات ولّد تخصصات مثل:السردية اللسانية التي تشتغل(على مستوى التركيب، وعلاقة الراوي بالمتن الحكائي) ومن أهم رواده: جيرار جينيث، وتودوروف،ورولان بارط؛ وأيضا السردية الدلالية التي تعنى ب(البنية العميقة التي تتحكم في مظاهر الخطاب، وصولا إلى تحديد قواعد وظائفية للسرد) ومن أهم رواده:بروب، غريماس.. وكذلكالسيميائية السردية التي تهدف الإمساك بالمعنى أو الدلالة أي بالسردية la narrativité[28]، في حين أن التيار السردي يهتم بالتعبير(الدال) أوالخطاب(صيغة السرد).[29]لقد سميت بعد ذلك ب(سيميائية باريس sémoitique de paris):التي تعتبر السردle récit جملة كبيرة تنضوي تحتها القصة والرواية والأسطورة وغيرها، والجملة هي سرد صغير يتكون من ستة عناصر(ذات، موضوع، مساعد، معيق....)، والحكاية» فعل»، وهذا تأثر واضح بنظرية(المقولات) لارسطو، ومفهوم (الفعل) لدى هيغل: ما يمارسه أشخاص، بإقامة علاقات فيما بينهم، ينسجونها، فتنمو وتتشابك وتتعقد وفق منطق خاص بها.

لقد ولد الحوار البينتخصصاتي جهازا مفاهيميا جديدا للقراءة الأدبية ك(اللغة، العلامة، الوحدات الصغرى، الوحدات الكبرى، البنية، السنن،البنية العميقة، البنية السطحية، الدال، المدلول، السياق، النصية textualisation (التي فتحت المجال نحو لسانيات النص والتداولية أو ما يسميه «فان ديك»ب نحو النص)، وهي جلها أدوات منهجية وإجرائية لتحليل النص والكشف عن نسقه البنياني داخليا وخارجيا.

+ ما بعد اللسانيات :

انطلقت مجموعة من المحاولات لتجميع نظريات السبعينيات وبداية الثمانينيات، تحت اسم «نظريات التلقي» التي أولت اهتماما خاصا بالقارئ، وجعلته قطبا هاما في القراءة الأدبية، أهم روادها: المقاربة السوسيو-تاريخية ل(ياوس)، ومقاربة التجربة الجمالية للكتابة لـ(إيزر)، ثم نجد المقاربة السيميائية- التداولية التي تميز بها(إيكو)، والمقاربة التحليلية النفسية

psychanalytique، التي دعا لها(ميشال بيكارpicard) متأثرا بالمحلل النفساني(ويني كوط cotte)، الذي يميز بين اللعبle playing وleاللعبة game: فالقراءة لعبة، لأنها تمتلك خاصيتي التماهي identification والمسافاتية distanciation،وعلاقة جدلية بين مختلف المحافل السردية للذات القارئة (القراء leliseur، المقروء le lu، وفاعل القراءة le lectant)،وعملية مشاركة- مسافاتية، تساهم في تغذية وتحقيق اللذة الاستيطيقية للقارئ.[30]الشيء نفسه نجده عند(فانسان جوف jouve)، الذي يميز بين:القارئ اللاعب

jouantالذي يحاول أن يستشف الإستراتيجية السردية للنص؛ والقارئ المؤولinterprétant الذي يسعى إلى تفكيك المعنى العام للعمل الأدبي.[31]

من هنا نستنتج أن القراءة الأدبية، عكس القراءة المنهجية، هي عملية تحليل مبنية على خلفية نظرية، وهذا ما أعطاها الطابع العلمي، فالمناطقة يقولون :التصور سابق للحكم، ومن ثم يمكن اعتبارها مقاربة بينتخصصاتية متكاملة الإطراف(الموضوع والطيمة الواحدة المستنفرة والمستفزة، القارئ،المنهج،الإدماج بين التخصصات، فتح المجال للتعاون بين المتخصصين...).

ج- شروط نجاح البينتخصصاتية ومعيقاتها:

توجد مجموعة من المشاكل لا يمكن حلها ودراستها إلا بتضافر وتعاون كفايات مجموعة من التخصصات، وبفضل البينتخصصاتية حقق هذا التعاون فهما جيدا للمشاكل وللتخصصات نفسها لحظة إقامة مسافة مع طرقهم ومناهجهم. ومن بين ايجابياتها(التكاملية la complémentarité): في توضيح وإضاءة وفهم الموضوع-الهدف. و(الإبداعيةla créativité) : لان التفاعل بين التخصصات يعيد مساءلة أفكار ورؤى أعضاء الفريق، وتجبرهم على إنتاج شروح أصيلة، وتجديدات منهجية مهمة.

+شروط النجاح:

من بين أهم شروط نجاح الفعل البينتخصصاتي، هو تحقيق مجموعة من المعطيات:

تحديد أهداف مشتركة من أجل توجيه المساهمات الفردية، داخل عمل الجماعي للفريق.

إيجاد أرضية موحدة، من أجل إبراز تعريف مشترك وموحد للمشكل موضوع البحث.

كل متخصص يجب أن يحافظ على مكانه، أن يصنع فرصا لفهم المشكل،لأن الفعل البينتخصصاتي، لا يعني مشاركة كل عنصر في المجموعة في جميع الأنشطة(مثل لاعب الكرة).

معالجة الموضوع وفق منظور نسقي.

التخفيف من وطأة مفهوم المدرس مالك المعرفة وسيدها في مجال تخصصه الأصلي.

استعداد المدرس للانفتاح، والتعمق في مجالات أخرى غير مجاله التخصصي، والتعاطي مع كل ما هو غير متوقع، والالتزام بما يراعي حاجات ومتطلبات المتعلمين.

+ المعيقات :

صعوبة إيجاد توازن أمثل بين العمل الفردي والعمل الجماعي(تحديات الفريق البينتخصصاتي

البينتخصصاتية تخلق مأزقا يتمثل في تقريبية الإحاطة المفهومية، فتمنح وهما بالإحاطة بجميع التخصصات،ولهذه

الأسباب فضل (Morin1994) ممارسة ما يسمى بالتهجين المنهجي المافوق تخصصاتي métadisciplinaire:الذي يؤكد على تبييئ ecologiser التخصصات، أي تجاوز جزئيات التخصصات، مع الحفاظ عليها.[32]

إن المقاربة البينتخصصاتية تجعل مهمة المدرس غير الخبير، والذي لا يملك ثقافة التعاون والتشارك، صعبة ، وغير قادرة على خلق تمفصل بين التخصصات.

الهوامش

1 -dictionnaire encyclopedique de l'enseignement et de la formation sous la direction de christiane etévé et philippe champy .paris.Nathan.1994.p561-563.

2-Bailly.j.Metschils.J,trois niveau d'interdisciplinairité dans l'enseignement ,in des chemins pour apprendre,FNEC,journée pedagogique, Bruxelles,Janvier 1988 .

Clary M et Giolitto.p,profession enseignant-eduquer à l'environnement, achette,1994,p286

3 -Gusdorf.G,interdisciplinarité,colloque international,université de liége,psychologie et sciences de l'education 22 et 23 novembre1984,p40.

4 -Morin.E,la méthode.t1,la nature, paris ,le seuil,1977 ,p100.

5-بسراب نيكولسكو، العبر- مناهجية، ترجمة ديميتري أفييرينوس، تقديم أدونيس، سلسلة آفاق2، دار مكتبة إيزيس، دمشق2000، ص54.

6 -نفسه، 55-54.

7 -André Bourguinion, de la pluridisciplinarité à la transdisciplinarité, congrés de locarno,30 avril.2mai,1997,Annexes au document de synthèse,Giret,unesco.

8 -بسراب نيكولسكو، العبر- مناهجية، ترجمة ديميتري أفييرينوس، تقديم أدونيس، سلسلة آفاق2،ص55.

9 - انظر، إدغار موران، سبعة ثقوب معرفية سوداء، (الموقع الالكتروني).

10 - بسراب نيكولسكو، العبر- مناهجية، ص55.

11 -لبيب رشدي ومينا فايز مراد، قضايا في مناهج التعليم، مكتبة الانجلو المصرية،

12 -الكثيري، راشد بن حمد «تجديدات في مناهج العلوم والرياضيات ومدى الاستفادة منها في دول الخليج العربي»، الرياض: مكتب التربية لدول الخليج.1995.ص 118. القاهرة،1993،ص176.

13 -رشيد بنحدو، المنهج التكاملي أو حين يتحول النقد إلى دعابة سمجة، ضمن كتاب(النقد الأدبي بالمغرب، مسارات وتحولات)، منشورات رابطة أدباء المغرب، ط 1،2002،ص93.

14 -R.Barthes,l 'aventure semoilogique, ed,du seuil, paris,1985,p13.

15 -L.Hjelmslev, Essais linguistiques,p52-56.

16 -L.Hjelmslev,Essais linguistiques,p52-56.

17 -Fourez. G, Englebert.le comte v.Mathy.ph ,Nos savoirs sur nos savoirs:un lexique épistémologique pour l'enseignant,Bruxelles,de Boeck université 1997, p169.

18 -المنهاج:أكبر من المقرر التعليمي، هو خطة عمل وتنظيم للأهداف والمضامين والأنشطة التعليمية والأدوات الديداكتيكية، وطرق التعليم والتعلم، وأساليب التقويم(أي ما يعيشه المتعلم والمدرس داخل القسم).

19 -Le noir,yves et lucie sauvé, introduction, l'interdisciplinarité et la formation

à l'enseignement primaire et secondaire: quelle interdisciplinarité pour quelle formation ? Revue de sciences de l'education vol : xxiv, N1 ,1998,p11à13.

20 -Benamou.M, pour une nouvelle pédagogie du texte littéraire, paris, Hachette , larousse, 1971, p10.

21 -رولان بارث، درس السيميولوجيا، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، تقديم عبد الفتاح كيليطو، دار توبقال للنشر، ط2، الدار البيضاء،1986 ص86.

22 -F.De saussure,cours del'inguistique générale, p21-26.

23 -بوريس اخنباون، بظرية المنهج الشكلي(نصوص الشكلانيين الروس)، ترجمة ابراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت1982،ص30-36.

24 -J.Kristiva,Recherche pour une sémanalyse, ed, de seuil, paris,1969.

25 -Pierre Guiroud et Pierre Kuentz, la stylestique lecture, Klinck seick, paris1970, 13à15.

26 -عبد السلام المسدي، الاسلوبية والنقد الادبي، ص37.

27 -M.Addam,linguistique et discours littéraire, puf, paris,1970,p44.

28 -Group D'entrevernes, Analyse sémoitique des textes,pul,1984, 14.

29 -G.Genette, Nouveau discours du Récit,seuil,paris,1983,p12.

30 -M.Picard ,La lecture comme jeu,1986,p214.

31 -Vincent Jouve , La lecture , Hachette, contours littéraire, 1993, p36.

32 - للمزيد من المعلومات حول معيقات البينتخصصاتية انظر

-P.Perrenoud،enseigner agir dans l'urgence, décider dans l'incertitude. chapitre5: travailler en équipe pédagogique résistances et enjeux.ESF.